

خطاب صاحب الجلالة في الذكرى الثالثة للمسيرة

الرباط ــ وجه جلالة الملك الحسن الثاني مساء اليوم خطابا هاما الى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الثالثة لانطلاق المسيرة الخضراء ودخولها الصحراء المغربية.

وهذا نص خطابه العظيم :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

قبل أن أبدأ خطابي، أرجو من كل أسرة تنظرني، أو تستمع إلي أن تحضر بين يديها كتاب الله. حتى نقدم في آخر كلمتي قسم المسيرة. وهذا القسم، حررته بيدي ثم خططته بيدي وسأعطيه للمصالح، حتى تجعله في ورقة بلاستيك، ليعطى لكل مغربي ومغربية، ولو لم يكونوا من السائرين في المسيرة، لأنه قسم البرور وقسم الدُّهور.

شعبي العزيز :

يقول الشاعر العربي الكبير (أحمد شوقي) رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومما يسر ملوكك، عبر التاريخ، أنك تتحلى بالأخلاق الطيبة وبالأخص بأخلاق القرآن لأن أخلاق القرآن هي التي تحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال فيه الله سبحانه « وإنك لعلى خلق عظيم » فكان النبي صلى الله عليه وسلم سموحا حليما كريما ينسى الضغائن ويحسن لمن أساء إليه، ولكن يقال عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يعرف الغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، وأنت شعبي العزيز لا تغضب ولا تثور إلا إذا انتهكت حرمات الله، ومن حرمات الله حرمة الوطن وقداسة التراب.

وهكذا شعبي العزيز، نراك عبر تاريخك وكأنك تعيش في جو غير الجو العادي اليومي، وكأن بالك معلق بكوكب أو بعالم آخر فإذا بالمغتصب أو الغاشم، يعتبر هذا غفلة منك فيريد النيل منك فيجدك صامدا متحملا للمشاق غاضبا الغضبة القرآنية النبوية، تلك الغضبة التي قلت عنها، أنها غضبة حينما تنتهك حرمات الله وحرمات الوطن.

وما الحدث الذي نحتفل به اليوم إلا نفحة من نفحات أخلاقك تلك التي عطرت بها التاريخ، فحينما اعتقدت وأحسست وفهمت بأن حرمة الوطن ستنتهك بكيفية نهائية، وأن مستقبلك سيوضع في دوامة مستمرة، وأن راحتك ستبقى مقلقة بسبب انفصال طرف منك عنك، وبسبب وجود العدو على تخومك، غضبت تلك الغضبة، وأريد أن أقول هنا الغضبة المعروفة فيك عبر التاريخ.

وحينما أردنا أن تكون مسيرتك مسيرة سلمية، سلاحك فيها في يد : كتاب الله، وفي يد العلم المغربي، كنا نريدها سلمية منا، ولم نكن نتوقع إذ ذاك أنك ستلاقي رجالا عقلاء. ولكن كنا فرضنا في حساباتنا وتقديراتنا

أنك ربما ستلقى من سيطلق عليك الرصاص، ومن سيسيل الدماء. ومع ذلك حينما انطلقت أفواجك، وحينما سارعت إلى خرق الحدود المختلقة أمواجك، كنت تظن أنك ستلاقي من سَيقتلك، ومن سيرميك بالرصاص. ولكن الله سبحانه وتعالى سلم، فهدى الجميع الى سواء السبيل وركوب طريق المسالمة.

ففي الحقيقة، يجب على شعبين أن يحتفلا بذكرى المسيرة : الشعب المغربي لأنه خلق مسيرته، لأنه فكر في مسيرته، لأنه كان عبقريا الى حد خلق مسيرته، وإنجازها الى النهاية. والشعب الاسباني لأنه في أول مرة في التاريخ يكون الخيار لابن آدم، بين العناق وبين الخناق، فيختار المعانقة ويترك البندقية، ففي الحقيقة هذه الميزة وهذا الاحتفال، دليلان على تساكن المغاربة والاسبان لمدة قرون، فتأثر البعض بالبعض وليس من الغريب أن يتعانق الاخوان.

شعبي العزيز :

إنني أقرأ في صحفك، وفيما تردده من شعارات، أن المسيرة خلقت مغربا جديدا. في الحقيقة المسيرة لم تخلق مغربا جديدا بل كانت بمثابة ذلك الانسان الذي يبعثه الله الى المسلمين على رأس كل مئة سنة ليجدد لهم أمر دينهم. فالمسيرة لم تخلق منك شعبا جديدا، ولا مغربا جديدا. وإنما جددت لك دينك ووطنيتك. إن المسيرة إن جددت لك وطنيتك وأخلاقك تجعلك شعبي العزيز أسيرا لما جددت ولما خلقت، فأنت مطالب أن تبقى طيلة السنين والقرون في مستوى ما خلقته في التاريخ.

نعم، إن عملا كعمل المسيرة، يثير الحماسة ويجند الأشخاص جسما وفكرا، إن عملا كعمل المسيرة هو ملحمة يجعل الصعب سهلا، فهو بالطبع أشوق للنفوس وأسهل للتعاطي، أما العمل اليومي، عمل البناء، عمل التنمية عمل الحكمة والرصانة، هو عمل ممل ربما، ولكن، شعبي العزيز، عليك أن تعلم أن العاقل هو الذي حينما يستيقظ كل صباح يتساءل ماذا سأفعل اليوم؟ وحينما يروح يتساءل ماذا فعلت اليوم؟ فإذا كان كل فرد من أفراد أسرتي الكبيرة يتساءل هذا السؤال ويضع على نفسه هذا السؤال، فلي اليقين أنه سيجد للحياة اليومية طعما لذيذا، وسيجد في عيشته اليومية مسيرة وملحمة تتجدد بين الصباح والمساء.

شعبي العزيز :

يمكن الكلام كثيرا وكثيرا عن المسيرة، وعما تذكيه في نفوسنا ومشاعرنا من ذكريات. أظن شخصيا أن أحسن خطاب يمكن أن أوجهه لك هذه السنة هو ما قل ودل. وهو أن نبتدىء على عتبة جديدة حياة جديدة، وذلك في ظل القرآن، وفي ظل قسمنا أمام القرآن كتاب الله.

شعبي العزيز :

ها هو القسم فأريد أن تردده معي في كل بيت بيت كما سيردده معي الحاضرون هنا :

أقسم بالله العلي العظيم، أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء مكافحا عن وحدة وطني، من البوغاز إلى الصحراء.

أقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي، وصدق نيتي.



شعبي العزيز :

استمددت هذا القسم من أواخر آية سورة المائدة. في ذلك الحوار الرائع القدسي، الذي كان بين الله سبحانه وتعالى وبين روحه سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، وفي آخر الحوار يقول سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم :

« وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد ».

فهذا القسم شعبي العزيز، أقسمت أنك ستكون بارا به، كما أقسمت أن تلقنه أسرتك وعترتك، لأن الأجيال تمر، والبلاد تدوم، الرجال بمثابة الوقود، والمسؤولية كجهنم تأكل الرجال أكلا، لكن على القيم أن تدوم، وعلى القسم أن يدوم.

فأنا رقيب عليك ما دمت فيك، ولكن عليك شعبي العزيز أن تكون الرقيب الشهيد على نفسك طيلة القرون، لأن قضية الصحراء لن تقف عند حدود، فدائما ستبقى محسودا عليها. والأطماع دائما متوجهة نحوها، وستتكون المكايد ضد الصحراء، فهي تارة بوليساريو أو ما يدعى البوليساريو، وتارة الشعب الصحراوي، أو من يدعي كذبا أنه الشعب الصحراوي.

وفي القرن المقبل ستظهر المؤامرة في شكل آخر. فعليك شعبي العزيز أن تبقى دائما على يقظة.. دائما مستعدا لخوض المعركة.. دائما مستعدا لاظهار أن مسيرتك الخضراء السلمية، لم تحكم عليك نهائيا بالمسالمة. بل أن قدراتك ومواهبك الحربية والعسكرية موجودة كذلك فيك كامنة فيك، لم تمت، وستبقى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لذا شعبي العزيز سوف أقف عند هذا الحد. إن المسيرة أجل من أن يقال فيها الكثير أو القليل. المهم هو أن نكون جميعا شاعرين بمعناها ومقدرين لوزنها وضخامتها الروحية والسياسية.

وإننا شعبي العزيز بهذه المناسبة، نرجو الله سبحانه الذي هدانا للمسيرة أن يهدينا الى حفظها.

اللهم انك تعلم أننا سرنا الى المسيرة بنية الجهاد والاستشهاد، فنصرتنا. اللهم أدم نصرك لنا. اللهم انك تعلم أننا لم ندخل الصحراء فاتحين ولا غاصبين، ولكن دخلناها لصلة الرحم ولاعلاء كلمتك ولارجاع سنتك، فاللهم اجعلنا مواطنين للصحراء مقيمين فيها آمنين مطمئنين.

اللهم أنك تعلم أننا حينما دخلنا تلك التربة الصالحة، لم ندخلها غازين ولا مغتصبين، بل مسترجعين لحق من حقوقنا، قائمين بواجب من واجباتنا، فاجعلنا اللهم قادرين على الاستمرار في القيام بواجباتنا والقيام بحفظ حقوقنا، إنك أنت السميع العليم، وأنك أنت الذي لا تخيب من سألك، ولا ترد من طلبك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأثنين 5 ذي الحجة 1398 — 6 نونبر 1978